

وثيقة- د-

اللاعنف طاقة إنسانية للتغيير

بيروت 1998/12/18

مقدمة :

ينتشر استعمال العنف أكثر فاكثراً في العالم . عنف في الأعمال والعلاقات والبنيات والقوانين والأوضاع القائمة . عنف فردي وعنفي جماعي عنف السلطة وعنفي الفتن والثورات ... ردادات الفعل على العنف كثيرة ، يمكن إرجاعها إلى أربع :

- | | | |
|---|---|--------------------------------------|
| - | - | السلبية . |
| - | - | العنف . |
| - | - | اللاعنف غير المنظم ، الأخلاقي وحسب . |
| - | - | اللاعنف المنظم ، الأخلاقي الفاعل . |

اللاعنف المنظم : المبني على النظرة للإنسان كقيمة مطلقاً يعتبر كل ظاهرة سلبية أو عنيفة غير مقبولة لأن كليهما ضد قيمة الإنسان . قد يُمتدح ويُمدد العنف عادة أكثر من السلبية لأنه قادر أن ينتج فضائل كالشجاعة والتضحية بالذات . . . ولكن ذلك لا يجعله أكثر قبولاً .

اللاعنف المنظم يتضمن اللاعنف الأخلاقي غير المنظم كجزء لا يتجزأ ضروري ولكن غير كاف لتأمين الإحترام الكامل لهذه القيمة ، لذلك يسعى لتغيير كل ظاهرة عنف أو ظلم . وهو يشتمل مع النظرة اللاعنفية والأخلاقيات اللاعنفية على "البراكسي" اللاعنفية أو الممارسة اللاعنفية ، وهذه الأبعاد الثلاثة متلازمة متداخلة .

اللاعنف ليس السلبية :

قبل الشروع بتفصيل هذه الأبعاد الثلاثة لللاعنف من المهم جداً التأكيد مسبقاً في هذه المقدمة المختصرة أن اللاعنف ليس السلبية ، كما قد يتبادر إلى ذهن الذين يسمعون به لأول مرة أو الذين لم يتفهموا أبعاده على حقيقتها وهذه السلبية تأخذ أشكالاً متنوعة منها :

- الهرب والتهرب: من قبل الذي يحاول ان يتجنب
- وطأة العنف .
- الجبن : من قبل الذي يخاف أن يواجه من هم
- سبب العنف .
- الضعف : المتخذ كشعار وكموقف تكتيكي للقوة
- ، أي لمن يعتبر قوته في ضعفه .
- التواطؤ والمساومة : من قبل الذي يقيم تسويات
- مع الإنسان العنفي أو يستعمل ضده أساليب "دبلوماسية" .
- التخاذل والاستسلام : من قبل الذي يقبل أن
- ينكسر أمام العنف .
- الانتظارية والتسويق : من قبل الذي يأمل من
- الوقت أن ينتهي بإزالة العنف ، دون أي اسهام شخصي منه .
- التصبر والتجالد : من قبل الذي يقبل بالعنف
- دون مواجهة أو مقاومة والذي قد يقوم في ذلك بجهد بطولي .
- الحياد اللامبالي : من قبل الذي لا يأخذ موقفاً
- تجاه العنف والعنفيين .
- العنف المنظم لا يمت بصلة لأي شكل من أشكال السلبية هذه .

ليس اللاعنف فضيلة "دون عنف" :

- واللاعنف المنظم ليس فضيلة من الفضائل التي تكتفي بأن لا تتضمن أي عمل عنفي، مثلاً :
- التسامح : من قبل الذي يقبل بتعددية الآراء أو
- المواقف أو المسلكيات ، وذلك بسبب انفتاحه .
- السلمية : من قبل الذي يقاوم العنف بوسائل
- سلمية ولكن غير منظمة .
- الاستشهاد ذاته : من قبل الذي يقبل أن يكون
- ضحية العنف لهدف وطني أو ديني مهما كان سامياً .
- هذه "مشاكل" جميلة ولكنها ليست اللاعنف المنظم الذي ستتكلم عنه هذه الوثيقة .

ليس اللاعنف موقفاً ساذجاً:

- -
واللاعنف المنظم، من جهة أخرى، ليس مبنياً على تصور وهمي تفاؤلي ساذج للعالم والمجتمع والانسان، تصور لا يرى مختلف ظاهرات العنف التي تنفجر فيه ، بل بالعكس هو واضح الروعية يسعى لتحليل هذه الظاهرات مع اسبابها .
اعتماد لفظة " النافية " :
قد تزعج البعض الصيغة النافية للفظـة "لا عنف" وبالرغم من ذلك فقد ابقى عليها بدلا من اعتماد صيغة بدون نفي لانها اكتسبت بسبب فكر وممارسة كبار اللاعنفيين (مثل تولستوى , وغاندي ومارتن لوثر كينغ) معاني لا تحملها معاً اية لفظة أخرى .
"واللاعنف" غير لفظة "دون عنف" التي تعني فقط السلمية وغياب العنف .

مدخل للاعنف :

هذا النص هو حصيلة عمل جماعي , حصيلة لعدة كراسات ظهرت حول اللاعنف المنظم , وقد كتب بصيغة مبسطة ومختصرة ليكون مدخلا للاعنف , نظرية واخلاقيات وممارسة . وهو موجه خاصة للذين يسعون للالتزام في تغيير الواقع بطريقة لا عنفية اياً كانت انتماءاتهم الدينية والعقائدية والأيدولوجية .
يحتوي على ثلاثة أجزاء :

1- نظرية اللاعنف :

النظرية هي التصور الفكري الذي يتضمن مبادئ ومسلمات معتبرة كحقائق تحتاج إلى براهين. وقد اختيرت خمس مسلمات أساسية في هذا المدخل تؤلف نظرية اللاعنف .

1-1- الكائن الإنساني هو في العالم ، القيمة المطلقة الوحيدة :

جميع الكائنات في العالم (1) الحية أو الجامدة ، الفكرية أو المؤسسية ، قيمتها نسبية تجاه الإنسان ويجب أن تبقى نسبية لتظل في خدمته .
النظرية الفلسفية والأيدولوجية التي تعتبر الإنسان كائناً نسبياً عرضياً زائلاً ، يصعب عليها أن تأتي إلى الجهاد اللاعنفي أو أقله أن تبرره إنطلاقاً من تصور لها هذا للإنسان .

1-2- كل كائن إنساني له حق أول بأن يُعتبر كقيمة مطلقة ومن ثم كذات فاعلة وغاية أخيرة :

كل كائن إنساني ، مهما كان جنسه ، وعمره ، وعرقه ، ودينه ، وحالته الجسدية والنفسية ، ووضعه الاقتصادي والاجتماعي ومسلكه . . .

. . . له حق أول ، تتبع منه باقي حقوقه (2) وتجد فيه تبريرها العميق، أن يُعتبر :

- **كقيمة مطلقة:** فلا يُعامل كنسبي من قبل أي كان، شخصاً ، أم جماعة، أم مجتمعاً بل

يجب

أن يرجع كل شيء إليه ويكون نسبياً تجاهه .

- **كذات فاعلة لا كشيء :** فلا يجوز أن تقلص قيمة أي كائن إنساني فيعتبر كياناً اقتصادياً أو

سياسياً تضاءلت أو تلاشت حريته، أو رقماً في سلسلة ونسخة بشرية انصدمت فرادتها الشخصية وخصوصيتها .

- **كغاية أخيرة لا كوسيلة :** بسبب كون الإنسان غاية لا يجوز أن يستعمله كائن إنساني آخر

أو جماعة أو مجتمع ولا سيما السلطة فيه ، لغاية غريبة عن ذاته .

كل مجموعة من الناس أو جماعة أو مجتمع له هويته الخاصة ، يجب أن تعتبر أيضاً كذات

فاعلة لا كشيء ، كغاية أخيرة ، لا كوسيلة ، وأن يُعامل كالكائن الإنساني. وفي حال حصول

التناقض يجب أن يوجد الحل الصحيح الذي لا يُضحى بالمجموعة أو الجماعة أو المجتمع في سبيل

إنسان ، ولا بالإنسان في سبيل أي منها وإلا تكون الفاشية أو الاستبداد أو اللاهوية .

1-3- كل ما يمس سلبياً كائناً إنسانياً أو جماعة أو مجتمعاً كقيمة مطلقة أو كذات فاعلة أو

كغاية، يعتبر عنفاً ، وظلماً غير مقبول به .

كل علاقة ، وكل عمل من قبل شخص ، لا سيما سلطة (ظواهر ذاتية) وكل بنية ،
شريعة، أمر واقع (ظواهر موضوعية) .. .

كل ما يمس سلبياً كائناً إنسانياً :

- - كقيمة مطلقة ، فيجعله نسبياً .
- - كذات فاعلة فيشيئه .
- - كغاية أخيرة ، فيستعمله .

... كل ذلك يعتبر عنفاً ، خرقاً لأحد حقوقه ، اجتياحاً لداخليته ، ظلماً بالمعنى الأوسع
للفظة (لا إنسانية في بعض التعابير) .
ويعتبر غير مقبول به في نظرية اللاعنف .

4-1 - كما يعتبر عنفاً وظلماً كل ما يمس سلبياً كائناً إنسانياً في احدى قيمه الأساسية ، هويته ،

فراذته ، سلامته الجسدية والنفسية ، حرته ، استقلاليته ، ابداعته ، نموه ، تكامله ،

مساواته مع الآخرين .

هذه القيم الأساسية تتبع من القيمة المطلقة .

وهي تشكل حقوقاً لا يجوز المساس بها .

فكل علاقة أو عمل ، أو بنية ، أو شريعة ، أو أمر واقع يمس سلبياً احدى القيم

يعد عنفاً

وظلماً.

5-1 - كل كائن إنسانى ، ولو كان سبباً ، ذاتياً أو موضوعياً للعنف أو للظلم يظل أبداً

رغم ذلك ذا ضمير قادر على الوعي ، ومن ثم تغيير أحكامه ومسلكه .

قد يوجد العنف في البنيات والقوانين المستقلة ظاهرياً عن إرادة الناس أي قد يظهر

موضوعياً لا ذاتياً . ولكن خلف الظواهر الموضوعية هناك أشخاص يفيدون من الواقع

الموضوعي ، فإذا أرادوا يستطيعون أن يغيروه .

فإذا تغير حكم ضميرهم يمكنهم أن يغيروا مسلكيتهم ومن ثم أن يزيلوا العنف أو الظلم القائم

إذا صح تسمية المسلمين الأوليين "إيماناً بالإنسان" فالمسلمة الخامسة يمكن تسميتها فعل "رجاء الإنسان" رجاء لا ييأس أبداً بالرغم من كل المظاهر ، بل من كل ظاهرات الفشل المتنوعة التي قد تحدث .

2- الأخلاقية اللاعنفية :

الأخلاقية هي مجموعة من الأحكام القيميّة على العلاقات والأعمال الإنسانية ، تعتبرها مقبولة أو مرفوضة ، بالنسبة إلى النظرية الإنسانية المعتمدة ، فهي تنص على ما يجب عمله ، على الواجبات ، في منطق هذه النظرية، لذلك فالأخلاقيات اللاعنفية تتبع من النظرية اللاعنفية . وهذا اللاعنف ليس إلا اللاعنف الأخلاقي الذي سميناه في المقدمة "غير منظم" .

2-1- كل ما يمس سلبياً كائناً إنسانياً في إحدى قيمه الأولى أو الأساسية يجب تجنبه أو

إزالته .

كل ظاهرة ذاتية أو موضوعية ، أي كل علاقة وعمل ، وكل بنية وشريعة وأمر واقع ، في كل الحقول ، المدنية أو الدينية ، الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية أو الثقافية . . . كل ما يمس الكائن الإنساني سلبياً ، أي ما يكون ضد إنسان أو جماعة أو مجتمع . . . في إحدى القيم الأولى ، كقيمة مطلقة ، وذات فاعلة ، وغاية أو إحدى قيمه الأساسية في هويته ، أو سلامته أو حريته . . .

يجب على الإنسان اللاعنفى :

-أن يتجنبه : أي أن لا يقوم به ، وهذا هو الوجه الوقائي لللاعنف ، ويتضمن حتى تجنب كل ظاهرة "حيادية" أخلاقياً قد ينتج عنها ما يمس سلبياً بكائن إنساني .

2-2- بينما هناك فئة ثانية فيها التباس لا تمس بصورة أكيدة واضحة كائناً إنسانياً أو

جماعة أو مجتمعاً ، فمن الضروري تحليلها لاكتشافها على حقيقتها الصحيحة ، ومن ثم

لتعهدتها ، أو بالعكس لتجنبها أو إزالتها بسبب عنفها وظلمها .

قد تبدو هذه الظاهرات مؤاتية ، بينما هي تمس سلبياً كائناً إنسانياً أو جماعة أو مجتمعاً :
- ذاتياً ، قد تكون دوافعها غير مقبول بها فتصنف

في الفئة الأولى .

- -
موضوعياً ، قد لا تخدم حقاً القيمة المطلقة والقيم

الأساسية لذلك من الضروري تحليل ما فيها من إيجابي حقاً ، وما ليس الا مظهراً خارجياً ، بغية العمل على ضوء ذلك التحليل .

3-2- الغاية لا تبرر الوسيلة في أي حال من الأحوال :

الغاية (كالهدف الوسيط أو الجزئي) ، غاية عمل أو علاقة بنية أو شريعة ، مهما كانت عادلة وهامة ، لا تبرر استعمال وسائل ظالمة عنيفة .
وبديهى أن الغاية الظالمة لا يمكن قط تبريرها ، حتى لو كانت كل الوسائل المتخذة عادلة ولا عنفية .

3- الممارسة اللاعنافية (البراكسيس) :

«البراكسيس» هي ممارسة مجموعة من الوسائل والأساليب القادرة أن تغيّر واقعاً ليصبح أفضل.

3-1- اللاعنف العملي المنظم هو طاقة إنسانية تغييرية للواقع الإنسانى العنفي الظالم من أجل

استبداله بواقع غير عنفي عادل .

نُعت اللاعنف هذا بالعملي لأجل تمييزه عن جميع أشكال "السلبية" التي ذكرت في المقدمة، ونُعت بالمنظم لأجل تمييزه عن اللاعنف الأخلاقي وحسب .

وهو يذهب إلى أبعد من اللاعنف الأخلاقي ، لأن الإنسان اللاعنفي الفعلي المنظم لا يكتفي أن يسلك سلوكاً أخلاقياً لا عنفياً في حياته الشخصية والاجتماعية بل يسعى لتغيير الواقع وفقاً لإمكاناته.

والواقع المذكور هو الواقع الإنسانى فرداً ، ومجتمعاً ، الذي يحتوي على أشكال الظلم والعنف المتنوعة .

3-2- "البراكسيس" اللاعنافية تتضمن "تقنية" قادرة أن تكون ذات فاعلية ضد القوى العنافية

وذلك دون أن تلجأ إلى العنف فى أية مرحلة من نضالها .

-
التوعية:

و تتضمن :

- مسيرة سلمية

- الإعتصام : بالصمت أو مع التعبير الموافق .

- الصيام : رمزياً مؤقتاً ، أو دائماً حتى ما قبل خطر الموت .

- الإضراب : عن العمل بعد استعمال كل طرق الحوار :

* محدوداً أو شاملاً .

* محدوداً بالوقت أو مفتوحاً .

- المقاطعة :

* الاقتصادية لمنتجات المحتلين أو المستغلين .

* الثقافية الاجتماعية : للحفلات ، للأوسمة . . .

- العصيان المدني أو الإمتناع خارج القانون عن الاشتراك أو العمل